أيها الشاعر مهلاً

بقلم الشيخ رمضان أبو العز

كتب الاستاذ الشاعر «محمودغنيم» كلمة رثـــاء عن احمد حسن الزيات نشرتها له مجـــلة «الوعى الاسلامى» التى تصـــدر فى الكويت وعنوان الكلمة «ذكريـــات عن أحمدحسن الزيات» وذلك فى عدد الوعى المؤرخ غرة صفر ١٣٨٩ ٠

والاستاذ محمود غنيم من شعرائنا النابهين ، أجاد القول فى كثير من اغراض الشعر وبـــوجه خاص فى الاسلاميات فله فيها شعر جيد ٠

وقد ضمن الاستاذ الشاعر كلمته عن محاسن الزيات ومـــدائحه الشىء الكثير لامن حيث اسلـــوب الزيات فحسب بل وفى النـــواحى الاخلاقية ومااليها وذلك كقوله (انقطعت بموت الزيات اخر حلقة من سلسلة كتاب النثر الفنى أمثال المويلحى والمنفلوطى والسيد توفيق البكـــرى ومصطفى صادق الرافعى وصادق عنبر وغيرهم) وكقوله (وعندى أن أسلوب الزيات وأضرابه اجدر بان يطلق عليه اسم الشعر الحر)

وهذا الذى ذكره الاستاذ الشاعر مما لاينازعه فيه أحـــد بل أعتقد ان الاستاذ الزيات ســـامى فى الاسلوب فرسان مدرسة ابن العميد التى اطلق عليها طبقة (الشعر المنثور) ولكن الذى حز فى النفس أن يتغاضى الشاعر عن الزلة الكبرى الـــتى ختم بها صاحبه حياته تلك التى كـــادت أن تلحقه بالدرك الاسفـــل من النفاق والكفر البواح ٠

أعاذك الله أيها الصديق من سرف الهوى ومن جموح العاطفة ومن جور الميزان ومن الانحـــراف عن قصد السبيل ٠ لقد كنت اولى الناس ببيان الهاوية السحيقة التى تـــردى فيها الزيات بل بتجسيمهـــا وتضخيمها

وشدة قرصه عليها فلو قد فعلت ماكان عليك أدنى ملام بل كنت به أحرى لانه انما وقع فى اعز شخصية وفدت على الوجود أعز علينا من آبائنا وأبنائنا وانفسنا التى بين جنبينا : شخصية خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم •

كيف تغاضيت أيها الصديق عن كلمة الزيات المجرمة فى حق وحدة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ثم فى حق وحدة صلاح الدين الايوبى رضى الله عنه •

كيف تغاضيت عن قول الزيات **(كانت الوحدة المحمدية كلية عامة لانها قائمة على العقيدة ولكن)** ثم انظر كيف استدرك على الوحدة المحمدية استدرك بقوله **(ولكن العقيدة قد تضعف وقد تتحول)** : قبح من استدراك وقبح من رضى به ••

ثم يقول عن وحدة صلاح الدين **(وكانت الوحدة الصلاحية قائمة على السلطان)** ــ هكذا ــ ثم استدرك استدراكا آثما بقوله **(ولكن السلطان قد يضعف وقد يزول)** • ثم جاء بالوحدة التى لااستدراك عليها فى رأيه الخائب بقوله : **(أما الوحدة الفلانية فلها ضماناتها الاشتراكية فى الرزق والحرية فى الرأى والديمقراطية فى الحكم)** وبذلك فاقت هذه الاخيرة الوحدتين السابقتين وكانت أمكن منهما لقوله بعد ذلك **(وهذه ضمانات لها البقاء والخلود)** •

لقد سخر القدر أيما سخرية من القزم الذى تطاول على أمثل وحدة بجعلها دون وحدة عبيد او زيد بأن انفصمت ومزقت شر ممزق وحدة عبيد هذه بعد بضعة ايام من لوبة الزيات ولكنه لم يرعو ولم يصحح خطأه بعد هذا الانفصام الشنيع •

ان هؤلاء الذين قرنت الزيات بهم كانوا من متانة الخلق والدين بمكان : فهذا الشيخ على يوسف والمنفلوطى وغيرهم رغم ظروفهم القاسية لم تزل بهم قدم كما زلت بصاحبك ، أما الرافعى فلو كان حيا ساعة لوثة الزيات لصنع له سفودا أذاب به شحمه وورمه وكان جديرا بأن ينسيه وساوس الشيطان، رحم الله الرافعى رحمة واسعة •

أكانت تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم أقل حرية وديمقراطية من عبيد او زيد ، ايعقل هذا كبرت كلمة تخرج من فيه ، ومع هذا وبعد هذا تجعله ــ أيها الصديق ــ من عباد الله المخلصين وتستمطر رحمة الله عليه بقولك (رحم الله الزيات رحمة واسعة وجزاه على ماأسلفه من خير للعرب والادب أحسن مايجزى عباده المخلصين)

اى اخلاص ياصديقى ان كان ثمة اخلاص فهو اخلاص للمردة والشياطين

ولن يكون بحال اخلاصا لرب العالمين

أيها الشاعر : زن دعاءك كما تزن شعرك ، ولاتخبط كما يفعل الـذين لايعلمون فلقد هوى الزيات بسقطته الى الدرك الاسفـــل من النفاق •

ولايجمل بمثلك أن تمر على هذه الزلة الشنيعة مر المتستر على الجريمة او مر من آوى محدثا • لكأنى بك انما اردت الوفاء للزيات بعد أن غيبـه الثرى ولكن ياصديقى ان هذا الوفاء فى غير محله اذ كيف توفى لرجل لم يوف هو لنفسه بل خان حياته وماضيه فخسر نفسه ثم انظر كيف حـــط من قيمة صلاح الدين رحمه الله وذلك بقوله (أما الوحدة الصلاحية فقد قامت على السلطان •• الخ) فكأنه يقول انها قامت لمجرد السلطان وليس لله فيها شىء ، ومن هذا الذى حط من شأنه، انه قاهر أوربا الصليبية مجتمعة ولكن هل يستغرب هذا من رجل حط من وحدة خير البشر جميعا •

أو كأنك ـ ياصديقى ـ انما اردت ان تعمل بقــــول بعضهم (اذكروا محاسن موتاكم) وماهو الا كلام عامى لايزن بميزان الحقيقة شروى نقير بل الواجب التبيان حتى لاينخدع قارىء بمديحك له فكان الواجب ان تذكر بدلا من هذا قوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئـون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) ولاشــك ان اعتباره وحدة الرسول صلى الله عليه وسلم دون وحدة عبيد او زيد تلك التى ولدت ميتة لهو اكبر استهزاء بالله ورسوله •

كان الاولى بك أن تقذفه بشعرك التهكمى حتى بعد موته حتى لاينخدع قراؤك ويمرون المسألة كأن لم يكن هناك شىء • من مثل هذا الشعر الذى انشدتنيه يوم ان كنا معا بالزقازيق • الذى قلته فى كفيف مصر :

كفيف بمصـر (طــوى) المبصريــ
ــن وأمسى يقــود زمـام العلوم
وســـوف يعيــــن عما قريب
بحلوان يرصد فيهـــا النجــوم

وسقطة الزيات طمت وزادت على زلة الكفيف •

والادهى والامر ألا يعتنــق الزيات الزيغ والضلال الا عندما شارف اجله على الانتهاء فى اللحظة التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر ـ نعوذ بالله من سوء الخاتمة ـ

كان الواجب ياصديقى ان تحذ حذو شاعر آخر اصاب المحز بل ان تسبقه وتكون انت قدوته ، قـــال الشاعر الاديب للزيات :

رويدك قد جـــاوزت سبعين حجة
ودوم في عينيك ـ لو تبصر ـ القبر

أراك ركبت الصعب والصعب جامح
وعظمك وهن والمـــــدى مهمه قفر

وصيدك ختـــــال يلـوح ليختفى
ويقصر عنه السيف والقوس والصقر

دع انغى للفتيان يـــرجى رشادهم
ويرجى لهم من خبط عشوائها عذر

لقد ذكرت أن الزيـــات ترجم (رفائيل) وهى لاكبر شعراء فرنسا (لامرتين) فكيف غـــاب عنه قول (لامرتين) فى حق الوحـدة المحمدية على صاحبها أفضل الصـلاة والسلام

قال لامرتين (ضآلة الوسائل التى استخدمت مع عظـــم النتائج التى حصلت ، اذا أردنا ان نحكم على هذا الرجل فمن فى الوجود نستطيع أن نقرنه بمحمد ؟) وهو لاشك استفهام انكـــارى من أبرع مايمكن ، انه لأسلوب الزيات ولاشهرته ينفعان فى زحزحة هذا الكفر البواح الذى نطق به

وكان لزاما عليك ـ ايها الصديق ـ حين مدحت خلقه وحيـاته أن تذكره بهذه الزلة **(قد كانت لكم أسوة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننـــا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حـتى تؤمنوا بالله وحده)**

وأخيـرا كلمة عتـــاب الى الاخ عبدالمنعم النمر رئيس تحرير (الوعى) كيف تغاضيت عن التعليق الواجب بعد الكلمة مباشـــرة **(فالى متى ياقوم الى متى نجامـل على حساب الدين)** وعلى حساب سمعة نبينــــا عليه الصلاة والسلام والبيان الواضح الجلى فى هذا المقام حتم لزام ٠

معادلة خاسرة

روى الجاحظ عن بن ابى ليـــــلى قال : انى لأساير رجلا من وجوه أهل الشام اذ مر بحمال معه رمان فتناول منه رمانة اختلاسا فجعلها فى كمه فعجبت من ذلك ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى ، حتى مر بسائل فقير فأخرجها فناوله اياها فقلت لـــــه :رأيتك فعلت عجبا ٠ قال : وما هـو قلت : رأيتك تسرق رمانة من جمال وأعطيتها سائلا ٠ قال : أتنكر على ؟ أما علمت أنى أخذتها وكانت سيئـة وأعطيتها فكانت عشر حسنات ٠

قلت : يا مسكين أما علمت أنـك أخذتها فكانت سيئة وأعطيتهـــا فلم تقبل منك ٠